مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

قضايا التربية العقلية لدى أحمد بن علوان ـ دراسة تحليلية(*)

د/ فـضـل عـبـدالله عـلـي عـون
أستاذ أصول التربية المشارك في كلية التربية
فرع جامعة تعز- التربة

مساعد باحث/ حـافظ عـزالدين غـالـب أحمد
إدارة التربية والتعليم بمديرية المعافر- محافظة تعز

*) تاريخ تسليم البحث 14/7/2021 تاريخ قبوله للنشر 8/10/2021
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

قضايا التربية العقلية لدى أحمد بن علوان - دراسة تحليلية

د/ فـضل عـبدالله عـلي عـون
أستاذ أصول التربية المشارك في كلية التربية
فرع جامعة تعز - التربة

مساعد باحث/ حـافظ عـزالدين غالـب أحمد
إدارة التربية والتعليم بمديرية المعافر - محافظة تعز

ملخص البحث

هـدف هـذا البحـث إلـى تعـرف التربيـة العقليـة، وقضـاياها لـدى أحمـد بـن علـوان، مـن خـلال تقصـي أهـداف البحـث الإجرائيـة التـي تبلـورت فـي تتبـع مـا حوتـه كتبـه ومؤلفاتـه، والإفـادة مِـنْ تحـليلات مَـنْ كتبـوا فـي إطـار الموضـوع، والمنسـجم مـع سـياق البحـث الحـالي. وقـد اعتمـد البحـث: المـنهج الوصـفي مـن خـلال تتبـع النصـوص ذات العلاقـة بالسـياق العـام للبحـث، وترتيبهـا، وتحليلهـا. والمـنهج التـاريخي، بـالرجوع إلـى أهـم المراجـع التاريخيـة المتعلقـة بموضـوع البحـث. وخلـص البحـث إلـى قضـايا التربيـة العقليـة لـدى أحمـد بـن علـوان مركـزة فـي: العقـل نـور الوجـود الإلهـي، العقـل الأول أصـل المعرفـة، حاكميـة العقـل، ورفـض التقليـد. ومـن توصـياته تضـمين منـاهج التـدريس بالمؤسسـات التعليميـة المختلفـة النتـاج العقلـي، الفكـري، والتربوي لأحمد بن علوان، وغيره من رجال الإصلاح الديني، السياسي، والاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: قضايا، التربية العقلية، أحمد بن علوان.

Ahmed Ibn Alwan's Issues of Mental Education: An Analytical Study

Dr. Fadhel Abdullah Ali Awn
Associate Professor of Foundations of Education
Faculty of Education-Turba, Taiz University

Assistant Lecturer. Hafedh Eiz Aldeen Ghaleb Ahmed
Administration of Education,
Al-Ma'afer District, Taiz

Abstract

The research aims to identify Ahmed Ibn Alwan's issues of mental education. This has been done through searching for the procedural goals which were crystallized to follow up the content of Ahmed Ibn Alwan's books and also through the analyses of those who wrote about the topic which is in harmony with this research.

The research depends on the analytical and the historical methods. The analytical method is used to organize and analyze related texts. The analytical method refers to the most important historical references related to the topic of the research.

The research concluded that Ahmed Ibn Alwan's issues of mental education are; mind is the light of Holy Presence, the first mind is the origin of knowledge, authority of the mind, and rejection of tradition.

The research recommends that educational institutions might include Ahmed Ibn Alwan's mental, intellectual and educational production and the production of other men of religious, political, and social reform.

Keywords: Issues, Mental Education, Ahmed Ibn Alwan.

أولاً: الإطار العام

مقدمة:

تهتم الكثير من النظم التربوية والتعليمية في العالم بالتربية العقلية وقضاياها المختلفة، والتي تعد مؤشراً على جودة التعليم ونوعيته؛ ولتحقيق هذا الغرض ترصد الدول الأموال الطائلة؛ لما لها من أهمية وارتباطات مباشرة بتنمية الإنسان المتعلم القادر بعقله ومعارفه وخبراته على حل مشكلاته التي يواجهها في حاضره، والتنبؤ بمستقبله. وتكمن أهمية هذه التربية في وجود علاقة مباشرة لها بالبحث العلمي الذي يعد المصدر الأساس للأمن القومي للدول التي ترغب في حماية شعوبها من هكذا خطر، وأمثاله في مجالاتٍ متعددة؛ لذلك فإنه يعد المسلك الآمن لحل المشكلات.

وإذا كان الأمر كذلك على المستوى العالمي، فإن الأمر يختلف أشد الاختلاف في العالم العربي والإسلامي، سواءً على مستوى النظام التعليمي العام، أو على مستوى التعليم العالي في الجامعات والمعاهد العليا، إذ لا تزال التربية العقلية أضعف الحلقات في محتوى مناهج التعليم النظري والعملي. وفي المقابل فإن أساليب التعليم التلقينية الفوقية التي تحمل معلومات تقدم على أنها يقينية، وما على التلميذ سوى تلقيها من موقع سلبي فاتر وخاضع تنعكس سلباً على تفتح كيانها النامي وتعيق صحته النفسية النمائية من الموقع والطريقة المفروضين عليه، فيضعانه في مكانه الخاضع العاجز الفاقد للثقة في نفسه وقدراته وإمكاناته للعطاء والمبادرة. (سليم، 2002، 2).

ويمكن إرجاع غياب الاهتمام بالتربية العقلية من وجهة نظر الباحِثَّين إلى أسبابٍ عدة، منها دوافع سياسية في المقام الأول، اقتصادية، واجتماعية. كما يمكن إعادتها إلى المستوى التعليمي للأبوين؛ إذ كلما ارتفع هذا المستوى تمت ملاحظة تحصيل أفضل عند الأطفال، وكان مستوى النمو العقلي المعرفي أكثر إرضاءً. (المرجع السابق، 60).

وبالنظر في التراث العربي الإسلامي في العصرين العباسي الأول، والثاني واللذين ظهر فيهما اهتمام لافت بالتربية العقلية ونشطت فيه ريح العلم، وإنشاء المدارس (الشرباصي،1979، 10-11) فقد كانت مثار اهتمام كبير لدى كثير من الفلاسفة، كالغزالي، ابن رشد، الفارابي، الكندي، ابن سيناء، إخوان الصفاء، وغيرهم من خلال نتاجهم الفكري والفلسفي المتنوع. وقد قوبل ذلك الاهتمام ببرود ولا مبالة، ويمكن القول إنه قد وصل ببعض تلك الأنظمة السياسية أن تواجه النتاج الفكري لهؤلاء الرواد بالخصومة والقطيعة غير المبررة، وهو ما ترك آثاراً كارثية على مستقبل هذه الأمة التي لا زالت تعاني منه إلى اللحظة الراهنة. ولم يكن حال المفكرين والفلاسفة اليمنيين في تلك العصور أحسن من حال هؤلاء الأعلام؛ إن لم يكن الأسوأ؛ من حيث ضياع ذلك التراث العلمي المتنوع، والإبداع المتميز، وقد تركوه يلاقي مصير الضياع والنسيان.

ويمكن القول إن التربية العقلية قديماً وحديثاً لم تجد الاهتمام المطلوب على النطاق العربي والمحلي، بل إن الأمر أكثر ندرة إزاءها لدى أحمد بن علوان؛ وبالنظر في الدراسات التي تناولته نجد أن أيٍ منها لم تعن بالتربية العقلية لديه، وبتتبع هذه الجهود والدراسات تتضح الفجوة البحثية في هذا الإطار؛ فدراسة (القيري، 1988) التي تعد أقدم هذه الدراسات، فقد اختصت بتحقيق دراسة ديوان الفتوح لديه. ودراسة (القدسي، 1995) اهتمت بالتصوف، وقضاياه وإشكالياته. أما دراسة الفلاحي (1996) فتناولت البعد الوجودي في فلسفة أحمد بن علوان الصوفية. في حين تناولت دراسة (سلطان، 2012) موضوع الشعر والرمز، وتحليل بعض قصائده. وبالتالي أغفلت هذه الدراسات البعد التربوي الصوفي لدى أحمد بن علوان، ولم تتطرق إلى قضايا التربية العقلية.. ولعل دراسة (أحمد، 2020) هي التي تناولت قضايا الفكر التربوي لدى ابن علوان بشكلٍ عام، وأشارت إلى التربية العقلية دون أن تكون هدفاً يفضي إلى قضاياها والتعمق فيها وسبر أغوارها؛ لذلك جاء البحث الحالي ليقدم أحمد بن علوان أحد الفلاسفة والمفكرين العرب المغمورين، والذي كان له اهتمام واسع بالتربية، والعقل، ويكشف الستار عن نظرياته فيهما، والتركيز على قضايا التربية العقلية.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

بناءً على الدراسات السابقة التي تناولت أحمد بن علوان المشار إليها، لوحظ أنها تخلو من الاهتمام أو الإشارة إلى موضوع التربية لديه بشكلٍ عام أو تسليط الضوء على قضايا التربية العقلية لديه بشكلٍ خاص؛ لذلك ولسد هذه الفجوة؛ تولد لدى الباحِثَّين شعور بأهمية البحث في قضايا التربية العقلية لدى أحمد بن علوان بشكلٍ مفصل، عميق، ومركز، وهي مشكلة البحث التي يمكن صياغتها بالسؤال الرئيس التالي:

ما التربية العقلية والعوامل المؤثرة فيها، وما قضاياها لدى أحمد بن علوان؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس التساؤلات الفرعية التالية:

أ- ما مفهوم التربية العقلية لدى أحمد بن علوان؟

ب- ما العوامل التي وجَّهت أحمد بن علوان للاهتمام بالتربية العقلية في عصره؟

ج- ما أهم قضايا التربية العقلية لدى أحمد بن علوان؟

أهداف البحث:

تبرز الغاية من البحث في معرفة قضايا التربية العقلية لدى أحمد بن علوان، من خلال متابعة الأهداف على النحو الإجرائي التالي:

- تعرف مفهوم التربية العقلية لدى أحمد بن علوان.
- تتبع العوامل التي وجَّهت أحمد بن علوان نحو الاهتمام بالتربية العقلية.
- تقصي أهم قضايا التربية العقلية لدى أحمد بن علوان.

حدود البحث:

اقتصر البحث على إبراز قضايا التربية العقلية لدى أحمد بن علوان التي اقتضاها السياق العام لفكر أحمد بن علوان.

أهمية البحث:

برزت أهمية البحث من كون تناول موضوعه غير مسبوق؛ ونظراً للأبعاد المعرفية حول موضوعه، كسياقٍ يكتنف في طياته سياقات فكرية أخرى في إطار جزئيات ذات علاقة تتكامل لتُكَوِن شخصية ابن علوان المعرفية والتربوية والصوفية؛ مما يفضي إلى الإسهام في ردف المكتبة العلمية ببحث نوعي في مجاله سيكون في متناول المهتمين به وبإطاره.

منهج البحث:

استخدم البحث منهجين: المنهج الوصفي التحليلي؛ لتحليل نصوص تاريخية ذات علاقة بموضوع البحث؛ فتحليل المفاهيم والنصوص باتجاه تعميمات مرتبطة بالسياق البحثي تفضي إلى معرفة معتد بها؛ لذلك تم اعتماد المنهج التاريخي – أيضا– بالرجوع إلى بعض المراجع التاريخية المتعلقة بموضوع البحث للإدراك الصحيح للأفكار، الوقائع، الظروف، والعوامل، وتناولها بالوصف والتحليل.

مصطلحات البحث:

وهذه المصطلحات، هي:

- **قضايا:** مفردها قضية. ويمكن تعريفها إجرائياً بأنها كل ما يشير إلى محددات موضوعية جزئية، تشكل في مجموعها وتكاملها أبعاداً للتربية العقلية لدى أحمد بن علوان.
- **التربية العقلية إجرائياً تعرف** بأنها العملية التي تساعد المتعلم على شحذ استعداداته، وطاقاته الكامنة التي تمكنه من القيام بالعمليات العقلية من تفكير، فهم، إدراك، تحليل، تركيب، ونقد، وصولاً إلى حل المشكلات التي تواجهه في حياته وبيئته. أما المفهوم الاصطلاحي للتربية العقلية فسيتم بيانه في سياق البحث.

بنية البحث:

- الإطار العام للبحث.
- مفهوم التربية العقلية لدى أحمد بن علوان.
- العوامل التي وجهت ابن علوان لتبني التربية العقلية.
- قضايا التربية العقلية لدى ابن علوان.
- نتائج البحث وتوصياته ومقترحاته.

ثانيًا: مفهوم التربية العقلية لدى أحمد بن علوان:

1- النبذة التعريفية (أ- نشأته ووفاته، ب- شيوخه وأساتذته، ج- تلاميذه ومريدوه، د- مؤلفاته وكتبه):

هو أبو الحسن صفي الدين، أحمد بن علوان بن عطاف بن يوسف بن مطاعن بن عبد الكريم بن حسن بن أبراهيم بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن عيسى بن إدريس بن عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم. (ابن علوان، 2006، 35)

أ - نشأته ووفاته: تتضارب المصادر التاريخية في تاريخ ولادته؛ حيث يذكر بعض المتأخرين أن ولادته كانت في تاريخ 537هـ دون ذكر المصادر التاريخية التي اعتمدوا عليها. (ابن علوان، 2006، 41)، ويذكر (الخزرجي، 1983، 146) أن مولده كان في قرية عُقاقة بضم العين المهملة وهي قرية من قرى جبل صبر. كما يذكر القاضي البهاء: أن أباه كان أيام الخدمة يسكن المعافر بموضع من نواحي جبل ذخر، يعرف بذي الجنان. (الجندي، 1993، 302)، فأبوه عمل كاتب الإنشاء للملك المسعود الأيوبي، المرجح وفاته بين 617هـ و619هـ (ابن علوان، 2006، 37) أما ولده أحمد، فقد "نشأ بموضع يعرف بذي الجنان من جبل ذخر ولم يزل على ثروة، ورعونة على ما جرت عليه أولاد الكتاب والمتنعمين بقرب الدولة". (الجندي، 1993، 394)

ثم انتقل ابن علوان إلى يفرس وتزوج بامرأة من هناك وبقي حتى وفاته، وله ولد يدعى محمد، ولد بذي الجنان ومات فيها عام 675هـ، ويُذكر أن للشيخ ابنة تزوجها عبد الله بن عمر بن المسن (وعمر بن المسن هو صديق ابن علوان في الطريقة الصوفية، وربما أستاذه في الطريقة)، ومن ذريتهما كان القائمون بالأمر في رُبَط الشيخين: ابن علوان، وعمر المسن، التي كانت منتشرة في مناطق مختلفة من اليمن، ويرجح أن وفاة الشيخ ابن علوان كانت في 20 رجب 665هـ في قرية يفرس، وقبره بها على باب مسجد لطيف، وهو القبر الملتصق بالمسجد وعلى يسار الداخل إليه، ويمين الخارج منه (المرجع السابق، 397).

ب- شيوخه وأساتذته: لم تذكر المصادر التاريخية التي تم الاعتماد عليها في هذا البحث، أياً من شيوخ ابن علوان، وإنما ألمحت إلى أن ابن علوان نشأ على طريقة أبيه من الاشتغال بالكتابة، عارفاً بالنحو، فاضلاً باللغة. (سعيد، 1997، 10)، ومن بديهيات القول إن ابن علوان قد تتلمذ على يد مشائخ زمانه في اللغة والأدب في منطقة (جَبا) باعتبارها بيئة جذب علمية واجتماعية وسياسية في ذلك العصر، وأخذ عنهم معالم الثقافة اللغوية والعامة. أما فلسفته الصوفية لم تذكر المراجع التاريخية أياً من الشيوخ، ويلمح في إحدى مرثياته الخاصة بصديقه عمر المسن قوله:

كنـــا الظـــلام وكنـــت أنـــت ســـراجنا كنـــا العطـــاش وكنـــت أنـــت الســـاقي (سعيد، 1997، 12)

وهي المرثية التي يستدل بها بعض الباحثين على أن ابن علوان رثى أستاذه عمر المَسَن. والحق أن المرثية لا تكفي دليلاً شافياً على أن ابن علوان قد تتلمذ على يد عمر المَسَن، وإنما هي مرثية من جملة المراثي التي كان ابن علوان يرثي بها أصدقاءه من مشائخ الصوفية، والمرثية تؤكد على عمق العلاقة بينهما دون أن يكون ذلك دليلاً على أن ابن علوان تلميذاً لعمر المسن.

ج- تلاميذه ومريدوه: كان له الكثير من المريدين منتشرين في مناطق كثيرة من اليمن، وكانوا يسافرون إليه، ويسافر إليهم، فكان يتردد كثيراً على منطقة ذي السمكر في الجند، وله فيها تلاميذ وأصحاب أمثال ال سلطان أبو العلاء السمكري، كما كانت تجري مراسلات بين الشيخ وتلامذته في مسائل التصوف والعلم والمعرفة. وذكر الكثير منها في مؤلفاته: مثل ابن أرحب، وعمر العطاب، وداؤود النساخ، ومحمد الحضرمي، وعلى بن عمران، وغيرهم الكثير (سعيد، 1997، 13).

والحق أنه لا يوجد في اليمن من بين شيوخ التصوف أو غيرهم من يضاهي ابن علوان بكثرة المريدين والتلاميذ، كما لا يوجد من يضاهي طريقته العلوانية في كثرة الأتباع والربط والزوايا المنتشرة في اليمن إلى اليوم. ويذكر (الخزرجي، نقلاً عن المرجع السابق، 13) أن ابن علوان، بعد أن أظهر سلوك التصوف" أُلقي له الحب في قلوب الناس والوجاهة، وظهرت له كرامات كثيرة، وتَحَكَّم له جمع كثير.

د- مؤلفاته وكتبه: تمثلت أشهر مؤلفاته وكتبه فيما يلي:

- كتاب الفتوح الفائق الطبعة الرابعة الصادرة عام 1421هـ -2006م - للعارف أحمد بن علوان والمودعة بدار الكتب - بوزارة الثقافة والسياحة - صنعاء، تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب.
- كتاب المهرجان والبحر المشكل الغريب لكل سر عجيب لكل عارف لبيب، للعارف أحمد بن علوان (تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب)، وزارة الثقافة والسياحة. صنعاء، الصادر عام 2004م، والمودعة بدار الكتب بصنعاء برقم الإيداع (2004/734م)، والتي صدرت بمناسبة صنعاء عاصمة الثقافة.
- الفتوح العلواني، والذي يضم بين دفتيه كتابي: المواهب والترقي إلى أعلى المراتب، والفتوحات الإلهية. صنعاء طبعة 2004. وهذا الكتاب ليس ضمن الكتب التي استشهد به في هذا البحث.
- كتاب التوحيد الأعظم - الطبعة الثانية 1421هـ - 2000م- تحقيق عبد العزيز سلطان. ويعتقد بعض الباحثين أن معظم مؤلفات ابن علوان مجهولة، وتحتاج إلى بحث دقيق عنها.

2- مفهوم التربية العقلية: تتعدد مفاهيمها بحسب المدارس الفلسفية وآراء رجال التربية، فيعرفها (الشيباني، 1973، 454) بأنها: مساعدة الشباب على كشف وتنمية استعداداتهم، ومواهبهم، وقدراتهم وميولهم العقلية، وتنمية المهارات العقلية والمعرفية، وتنمية العادات والاتجاهات ذات الارتباط بالروح العلمية، وحب المعرفة. وتُعَرَّف كذلك بأنها "تلك الجهود التي تبذل في تنمية العقل وتوسيع أفقه ومداركه، سواءً كانت هذه الجهود مبذولة من مربٍ يشرف على هذا اللون من التربية، أو كانت عبارة عن مجهود ذاتي من الشخص في تربية عقله، وتنمية وتوسيع مداركه" (الريمي، 2012، 142). والتربية العقلية هي: الرعاية الموجَّهة نحو القدرات والملكات العقلية، والكشف عن استعدادات الفرد، ومواهبه، وتنميتها، وإكسابه مهارات جديدة من خلال العمليات العقلية التي يقوم بها. (الشميري، 2013، 101).

وتعد التربية العقلية تنشئة الإنسان شيئاً فشيئا بالتدرج في تشكيل عقليته الواعية المتفتحة المتأملة في خلق الله عز وجل وتنمية الجانب الفكري والعلمي والإبداعي لدى الإنسان. (حلمي، home, site, https:11 sites google. com).

أما التربية العقلية الخاصة بالطفل فإنها تعني تنمية عقل الطفل بتغذيته بالمعرفة، وتدريبه تدريباً منظماً على التفكير الصحيح والاستدلال الصادق، والنظر البعيد، ليحسن إدراك ما يحيط به من مؤثرات، بقدر ما يناسب عمره، وقدراته العقلية واستعداده الفكري. (الناصر، ودرويش،1411هـ،307).

ومن خلال التعريفات السابقة، يمكن القول إن التربية العقلية عملية موجهة لبناء الفرد بناءً سليماً لكل أبعاد شخصيته.

وإذا كانت التربية العقلية تهتم بالعقل وتغذيه وتمده بأسباب نشاطه وحيويته وتعطيه القدرة على النظر، التأمل، التدبر، التحليل، والاستنتاج؛ أي تنمية قدراته واستعداداته. (حلمي، مرجع سابق). فإنها في المقابل تعد أساس التكليف، التشريف، والتكريم الإلهي للإنسان (ولقد كرمنا بني آدم)، فالعقل عنوان الكمال الإنساني، وبدونه يظل الإنسان مسخاً ناقصاً في وجوده. كما أن العملية التعليمية بدون التربية العقلية تظل عملية تعليمية ناقصة في جوهرها وأهدافها. كما أن التربية العقلية تعد أهم جوانب الاهتمام في العملية التربوية والتعليمية، بل المحور الرئيس فيها، والتي تسعى العملية التعلمية بكل جوانبها ومدخلاتها (منهج، طرق وأساليب، أنشطة، معلم، بيئة، متعلم، وإدارة) إلى تحقيقها.

وفحوى هذا الاهتمام أن التربية العقلية عملية مرتبطة بحياة الفرد (المتعلم) من الولادة حتى الوفاة، وعليها تقوم الجوانب الأخرى: عملية، نظرية، اجتماعية، ثقافية، علمية، اقتصادية،...إلخ. فجل

الأنظمة التعليمية في العالم تجعل من التربية العقلية الهدف الأسمى الذي تسعى إلى تحقيقه في المتعلم، وترصد لأجل هذا الغرض الكثير من الإمكانات المادية، والبشرية، ومن ثم استثمار عقل الفرد في إنتاج معرفة، اكتشاف أسرار علمية جديدة، وحل مشكلات الواقع المختلفة. ويمكن القول إن التربية العقلية تعد الهدف الرئيس من عملية استثمار الدول في التعليم، وتجعل من العقل رأسمالها الأساسي. لما لذلك من تبعات ونتائج إيجابية مباشرة على حياة الفرد والمجتمع، وتحقيق حل المشكلات والنماء والتطور.

وبعبارة أخرى إذا أراد المجتمع حل مشكلاته وتحقيق تنمية مستدامة؛ فعليه الاهتمام الموجه بالتربية العقلية لدى أفراده (المتعلمين) في كافة مراحل التعليم العام والجامعي؛ ومحاولة تطبيق ذلك في سلوك المتعلم على المستويين النظري والعملي. وتعليمه طرق ابتكارية وإبداعية في التفكير، بعيداً عما هو مألوف وسائد وتقليدي. ولأجل ذلك دعا القرآن الكريم إلى الاهتمام بالتربية العقلية حتى يكون الفرد من ذوي الألباب والعقول، مستبصر، مفكر، مكتشف، مدرك، حكيم، عالم، وعارف...إلخ.

فالتربية العقلية السليمة والموجهة، ستؤدي بالضرورة إلى تنمية العقل لدى المتعلم؛ بحيث يكون عقله قادراً على القيام بكل الوظائف من تفكير علمي، نظر، تحليل، نقد، استنتاج، تأمل، ملاحظة...إلخ. وهذا سينعكس على بقية جوانب شخصية المتعلم الجسمية، النفسية، الوجدانية، الاجتماعية، وغيرها.

وفي المحصلة فإن التربية العقلية، تساعد على إيجاد الفرد الإيجابي المتفاعل مع بيئته وقضايا مجتمعه، المحفز لطاقاته وأنشطته، متمتعاً بشخصية قوية، وبنية سليمة، ذي عقل يفكر، نفسٍ تؤثر، وجسدٍ يُعمَّر، مدركٍ لحكمة وجوده، ذي قدرة على اتخاذ القرار، وقدرة عقلية على إدراك الأسرار العلمية الظاهرة والباطنة التي تحكم عمل الظواهر الوجودية، وصولاً إلى معرفة علة وجود الأشياء والموجودات؛ مما يجعله يعيش حالة من السعادة. وهذا ما يجعله يعيش حالة من السعادة. ويذهب العالم السويسري بياجيه إلى تفسير جوانب النمو العقلي بأربع مراحل (سليم، 2002، 13):

أ – المرحلة الحسية – الحركية؛ حيث يستخدم الطفل الأشياء المحسوسة في البيئة ويتعامل معها حركياً عن طريق اليدين والعضلات والتعرف عليها.

ب – مرحلة ما قبل العمليات: وفيها لا يستجيب الطفل للمؤثرات البيئية بطريقة حسية حركية مباشرة، بل يعمل على ترميزها وتمثيلها، وتمتد من سنتين إلى سبع سنوات.

ج – المرحلة الحسية: وفيها يتمكن الطفل من تطبيق الأشياء المحسوسة، ومقارنتها، فقد يربط بين العناصر المتشابهة في مجموعتين من حيث الشكل واللون، وتمتد هذه المرحلة من سبع سنوات إلى اثنتي عشر سنة.

د– مرحلة العمليات الشكلية: وفيها يتمكن الطفل من إدراك المفاهيم المجردة، مثل العدالة، الصدق، الأمانة، وتظهر هذه القدرات ابتداءً من سن 11،12 سنة.

وإن هذه المراحل مجتمعة تُشَكِّل الوظيفة العقلية للإنسان (المرجع السابق).

ولعل من متعلقات مفهوم التربية العقلية لدى ابن علوان الإشارة إلى أن هدف التربية العقلية لديه والذي توخاه من التربية على وجه العموم، والتربية العقلية على وجه الخصوص هو أن تكون التربية العقلية جزءاً أصيلاً من عملية التغيير؛ فبها وعبرها ومعارفها النظرية، العملية، وأساليبها المختلفة يستطيع الفرد والمجتمع إدراك، ومعرفة الأشياء؛ وبالتالي امتلاك القدرة على تغيير ذاته، وتقديم بدائل معرفية وعلمية لتغيير ثقافة التقليد السائدة في واقعه، كمقدمة لتغيير واقع الحياة بكل أبعاده وجوانبه. ولن يتأتى للعقل ذلك إلا في جو من الحرية في البحث، التفكير، الاكتشاف، النقد، والتعبير.

ثالثًا: العوامل التي وجَّهت ابن علوان لتبني التربية العقلية: عاش ابن علوان تـ (665هـ) في النصف الثاني من القرن السادس، والنصف الأول من القرن السابع الهجري، فهو شخصية مخضرمة عاصر الدولة الأيوبية، وبداية عهد الدولة الرسولية. وبالعودة إلى المصادر التاريخية لدراسة العوامل والأحداث التي عاشتها الأمة العربية والإسلامية عامة، والمجتمع اليمني على وجه الخصوص (عصر ابن علوان) يمكن القول إن هناك الكثير من الأحداث الكبرى التي يعتقد أنها أثرت بشكلٍ مباشر على فكر ابن علوان ونتاجه الفكري والفلسفي الصوفي، على اعتبار أن الفكر هو أحد أشكال الوعي الاجتماعي في ظروف وخصائص تاريخية معينة (مروة، 1985، 193).

وإن مجوع رؤى ابن علوان الفكرية تعد في معظم جوانبها مشروع نهضة شاملة للواقع العربي الإسلامي، في حالة الأخذ به وتطبيقه على أرض الواقع. إذ يشكل هذا المشروع مجموعة من النظريات الفلسفية التي احتاجها الواقع آنذاك في: الوجود، المعرفة، الأخلاق، السعادة، السياسة، الإنسان الكامل، التربية، الحقيقة، وغيرها. والوجود لديه وجودان: وجود أصلي متمثل بالحقيقة الإلهية، ووجود إنساني بما هو عقل، نفس، وجسد.

وقد ركز ابن علوان بشكلٍ ملفت على العقل، وقدم في سبيل ذلك عدداً من النظريات، وإذا تم ربط ذلك بخصائص الواقع السياسي والاجتماعي لعصر ابن علوان، فسيبدو أن سبب ذلك يعود إلى عاملين: **العامل الداخلي** الذي تمثل في اشتداد حالة الإرهاب الفكري الذي مارسته الأنظمة السياسية العربية على العقل، والتي بدأت في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، ثم استفحلت في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، واتسعت آفاقها في القرنين السادس والسابع الهجري (الثاني عشر، والثالث عشر الميلادي)، إذ تمثلت الأيدي التي تحمل لواء هذه الحرب الفكرية بالفقهاء التقليدين المحافظين الذين أصبحوا السند الوحيد لأيدلوجية السلطة الحاكمة التي تستخدمهم

لقمع المعارضين والوقوف ضد أصحاب التفكير العقلي.(المرجع السابق، 238)، فضلاً عن اشتداد الصراع الداخلي بين الأطراف السياسية المتعددة: عباسية، أيوبية، فاطمية، ومماليك.

أما العامل الخارجي، فقد مثلته موجة الغزو الأوروبية الاستعمارية الأولى المسماة بـ (الحروب الصليبية) المندفعة نحو الشرق، وكذا بداية انحسار تواجد العرب المسلمين في الأندلس، والصراع فيما بينهم من جانب، وبينهم والفرنجة من جانب آخر. (الترب، 2014، 132)، بالإضافة إلى موجة الغزو التتاري لبغداد وفقدان الخلافة رمز السلطة الدينية والسياسية على يد هولاكو (655هـ – 1257م)، كل تلك عوامل كانت في حساب ابن علوان متأثراً ومؤثراً. رافق ذلك العامل الذاتي، ممثلاً بشعور الفرد العربي بالتيه، الضياع، اليأس، والإحباط جراء الحروب الداخلية التي أنهكته، وإجباره على تحمل تكلفتها ونتائجها المأساوية من خلال الاشتراك بها أو تمويلها بزيادة الضرائب والإتاوات والجبايات والأموال عليها، لتمويل تلك الحروب البينية والصراع على السلطة.

سادساً: قضايا التربية العقلية لدى ابن علوان:

للعقل قدرة كبيرة على توليد الأسئلة التي تدفعه للبحث والاكتشاف وإدراك الأشياء والحقائق وأسرار المعرفة والعلم، حتى في ظل الجواب يبقى العقل على حالة السؤال في دورة لا تنتهي. وتبدأ التربية العقلية من مرحلة الطفولة المبكرة (رياض الأطفال)، وهي مرحلة حساسة للتعليم ولاستيعاب الخبرة التي يتعرض لها العقل في حالة تهيئ في داخله للخبرة من خارجه، ويكون الدماغ في حالة نشطة تتشكل في سياقه أنماط للنشاط العصبي، تؤثر في نشاط التعلم بالمستقبل. (سليم، 2002، 60)

وبعبارة أخرى السؤال حياة العقل وسر قوته الدافعة. لذا كان العقل محل اهتمام الكثير من الفلاسفة على مر العصور وقدموا مقاربات فلسفية ربما تقترب من معرفة العقل وجوهره والتحكم به. وكلهم يتفقون على أن العقل لا يعمل إلا في ظل الحرية التامة له، فالحرية ميدان العمل الواسع دون قيود أو كوابح. وابن علوان أحد أولئك الفلاسفة الذين اهتموا بالعقل فأنزله منزلته، وقال فيه الكثير بهدف رد الاعتبار للعقل العربي ودفعه للبحث والتفكير والانطلاق. ورأى فيه بأنه "نَفَسُ الله ونور وجوده، ولولا ذلك ما عرفه وما عرف به" (ابن علوان، 2000، 285).

فيظل العقل في حركة دائبة ودائمة للبحث عن موجده، وكونه نَفَسُ الله، ونور وجوده، فلا يحق لأي قوة أو سلطة في الأرض الحد من حريته، أو الاعتداء عليه، إذ يعد ذلك اعتداءً على فطرة الله الأولى، فهو، أي العقل "أول مفطور فطر، وأول المخلوقات والموجودات" (المرجع السابق، 349).

إلا أن العلماء اختلفوا في مَنْ خلق الله أولاً: فذهبت طوائف من المتكلمين إلى أنه لم يكن قبل السموات والأرض شيء، وأنهما خلقتا من العدم المحض. وقد اختار ابن جرير وابن الجوزي رحمهما الله تعالى أن القلم أول المخلوقات، وهو القلم الذي كتبت به مقادير الخلق، واستدلوا بحديث عبادة

بن الصامت الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي، قال: قال رسول الله عليه وسلم: (إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال له اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة). بينما ذهب ابن القيم وابن تيمية بأن العرش أول مخلوقات الله. وقال ابن مسعود رضي الله عنه وغيره من السلف بأن الماء خلق قبل العرش والقلم، وبحسب قول الجمهور من العلماء فإن الله خلق العرش قبل كل شيء اعتماداً على حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وقال وعرشه على الماء، ففي الحديث دلالة على أن كتابة المقادير كان بالقلم، وهذه الكتابة كانت بعد خلق العرش، وبالتالي فإن العرش سبق خلقه خلق القلم، فمحمول على أن القلم هو أول مخلوق في هذا العالم). ورأي رابع رأى أن الماء هو أول المخلوقات، ودليلهم في ذلك أن أبا هريرة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخلق، فرد عليه الصلاة والسلم: (كل شيء خلق من الماء، ففي الحديث دلالة على أن الله جعل أصل المادة التي خلق منها المخلوقات الماء؛ مما يدل على أن الله خلقها قبل كل المخلوقات. وفي الأحاديث السابقة قول النبي (كان عرشه على الماء) دلالة على أن العرش والماء هما أول شيء خلقه الله. وحكى ابن جرير عن محمد بن إسحاق أنه قال «أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسوداً مظلما، وجعل النور نهاراً مضيئاً مبصرا». وقال ابن جرير وقد قيل «إن الذي خلق ربنا بعد القلم الكرسي. ثم خلق بعد الكرسي العرش. ثم خلق بعد ذلك الهواء والظلمة. ثم خلق الماء فوضع عرشه على الماء». (ابن كثير، 1986، 1 – 9)، والله سبحانه وتعالى أعلم.

والحِكم من خلق بعض المخلوقات كثيرة ولا تحصى قد ندركها وقد لا ندركها، ومنها دلالة على علم الله وقدرته وتصرفه في هذا الكون، وسبر غور هذا التباين لإثبات أول المخلوقات ليس من أهداف البحث الحالي، ولكن كان من المهم الإشارة إلى وجود آراء تخالف رأي ابن علوان في هذه المسألة في هذا السياق.

ويعرف (ابن علوان، 2000، 285) حقيقة العقل بقوله: "فحقيقة ذات العقل، أنه جوهر واحد، مؤتلف غير مختلف، لا يتبعض، ولا يتجزأ، ولا ينحرف، مختص بالتوحيد، المعرفة، والبرهان، مبرأ من النقصان، والشك، الطغيان، الجهل، والنسيان، لا يميل ولا يعترض، ولا يغفل ولا يعرض عن دوام مشاهدة باريه، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه".

وهناك تعريفات أخرى للعقل لدى الفلاسفة أوردها (ناصر، 2001، 287–290): فالعقل هو الحق والنور الذي خلقه الله في البدء لمساندة الحق. ولدى اليونان هو ملكة الاستدلال التي تؤلف القضايا والتصورات وهو من خاصيات الإنسان. وهو لدى أفلاطون قادر مطلق (المادة قاصرة). ولدى فلاسفة الطبيعة الإغريق هو أصل الوجود. ولدى ديكارت ملكة الإصابة في الحكم.

ولدى الكندي هو جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها. أما لدى فلاسفة المذهب العقلي فهو قوة فطرية يولد بها الإنسان، ويستطيع بواسطتها إدراك العلاقات بين الأشياء واستنتاج النتائج والتحقق من صواب المعرفة أو خطأها.

ويمكن القول إن العقل كل ما سبق الإشارة إليه. وتشير الأدبيات ذات العلاقة إلى أن للعقل مفاهيم ومصطلحات مختلفة لها علاقاتها ودلالاتها النظرية والعملية كالمعقولية، والمعقول، والعقلانية، والعقلانية الديكارتية. ومع وجود هذه المصطلحات حول العقل– إلا أن ابن علوان يرى فيها معانٍ أخرى غير ما يراه الآخرون ليس من أهداف البحث الحالي التعمق فيها، وأن التربية أصبحت شاملة لكل مصطلحات العقل ببعديها النظري والعملي.

ويضع له وظيفة أساسية، مختصة بالتوحيد القائم على البراهين العقلية المحضة بعد إدراك البراهين النقلية، ومعرفة الأشياء، والموجودات؛ ونظراً لأهمية هذه الوظيفة فقد أعطاه ابن علوان الرتبة الثانية بالوجود بعد الرتبة الإلهية مباشرة، بقوله: "والرتبة العقلية: وهي ذات حروف السطر الثاني في لوح الوجود". (ابن علوان، 2000، 283).

وهذا يدل على المكانة الكبيرة التي يوليها ابن علوان للعقل. إذ يسميه بالعقل الكلي أو العقل الأول، وهو إشارة إلى الحقيقة الروحية المحمدية. ومهما يكن فقد قسم ابن علوان الكينونة أو الطبيعة البشرية إلى ثلاث رتب هي: الرتبة العقلية، النفسية، والجسدية. واعتبر الإنسان الكون الجامع الذي اجتمعت فيه كافة أسرار المخلوقات العلوية والسفلية. وأعطى العقل حق الحاكمية على النفس والجسد. ويمكن إيجاز **قضايا التربية العقلية** لدى ابن علوان على النحو التالي:

1– العقل نور الوجود الإلهي: يرى ابن علوان أن العقل نَفَسُ الله ونور وجوده. (ابن علوان، 2000، 285)، وبالعقل وحده يمكن للإنسان معرفة الموجد (الله)، ناهيك عن الكتب المنزلة عليه، التي تجعله يقطع الشك باليقين. ويرى ابن علوان أن المعرفة الإلهية هي أشرف مستويات المعرفة وأعلاها، وتعد الحلقة المفقودة والسؤال الدائم الذي يضع نفسه على العقل. ويمكن تحقيق المعرفة الإلهية بطريقتين تتكامل في الغاية والهدف، وربما اختلفت من حيث الوسائل والطرق، **الأولى: طريق العقل المحض**، الذي عرف المحسوسات والموجودات وإدراك حقائق العينيات، فعليه قطع طريق الحيرة والشك، إلى اليقين بالوصول إلى معرفة علل الأشياء والموجودات، وهو الخالق سبحانه، يقول (ابن علوان، 2000، 75): الحق على الحقيقة واضح الطريقة. وفي استشهاد آخر يقول: فتفكروا في الآفاق تتجلى لكم قدرة الخلاق. (ابن علوان، 2006، 318)، والتفكير المحض عنده ليس فقط في الوصول إلى معرفة الخالق سبحانه، وإنما أيضاً في معرفة النفس، يقول: وتفكروا في أنفسكم يتبين لكم سعدكم من نحسكم، وتعرفوا ربكم بعقولكم. (المرجع السابق)، فالموجد سبحانه تدل عليه

الموجودات بما تحمله في وجودها ونظام عملها وتأثيراتها الداخلية والخارجية؛ من أسرار العلم والحكمة فيها ما تجعل العقل يقر بأن لها موجداً مطلقاً ذا علم، وحكمة مطلقة، هو واجب الوجود. (عبده، 2005، 35).

أما الثانية: فهي طريق النقل؛ فالرسل والأنبياء والكتب تدعو للإيمان بالخالق الموجد، وابن علوان يلفت هذا العقل للنظر والتدبر في ثنايا النص القرآني، وتحويله إلى حالة من المعرفة في مستوياتها المختلفة وقيمتها الظاهرة والباطنة. فأما ما تصدق به البراهين النقلية، فقوله تعالى (ابن علوان، 2006، 316)، وفي سياق مماثل يقول: فصار كل كتاب منزل على لسان كل نبي مرسل يترتب على ست خصال: علوم وأعمال، وأقوال وأحوال، وترك وامتثال، طريق يرشد بها الضال، ويمكن بها الانتقال إلى حضرة ذي الجلال. (المرجع السابق، 299).

وإن ابن علوان يلفت عقل المؤمن إلى ضرورة اختراق المعاني الظاهرة واستبطان المعاني المستترة التي تقف خلف الدلالة الخارجية للنصوص والأشياء كذلك، وعدم الاكتفاء منه بالوقوف على المعاني الظاهرة، وإنما عليه النفاذ إلى عوالمه الباطنة؛ وهذا ما يحققه منهج التأويل الصوفي الذي هو في أصله تفكير عقلي في نصوص القرآن الكريم.

فالتأويل منهج يمنح التربية العقلية إطاراً واسعاً للبحث واكتشاف معانٍ وأسرار جديدة غير مطروقة وغير مكتشفة. ويكشف لنا عن المعنى الكامل باستخدام منهج أقرب إلى الاستبطان والحدس. (زائد، 2005، 155)، وذلك بإيجاد علاقة اتصال بين العقل وبين الخطاب الإلهي في القرآن؛ فيشرق العقل بأنوار المعرفة الإلهية التي تأتيه من مصدر وأصل الوجود، عبر التجليات الإلهية القائمة على النصوص فيستيقنها ذلك العقل.

ومن هنا فإن مهمة التربية العقلية لا تتوقف عند تحفيز العقل لسبر أغوار النصوص والأشياء وعدم الاكتفاء بالوقوف على ظاهرها، وإنما تتجاوز ذلك للوصول إلى استبطان الأشياء واكتشاف أسرارها العلمية المستبطنة، وهو أمر يزيد من ثقة المؤمن بربه.

2 – العقل الأول أصل المعرفة: إن العقل الأول (الكلي) أصل المعرفة، والمقصود به عقل الحقيقة المحمدية وعبر هذا العقل تتسلسل المعرفة إلى العقول الجزئية؛ حيث يقول: ...، ثم تتسلسل المعرفة ذلك عن العقل الأول في كل عاقل كانت له نسبة قديمة في باطن الإقبال. (ابن علوان، 2000، 228).

وقد جاء ذلك القول رداً على الهجمة الصليبية على نبي الإسلام التي هدفت إلى تبرير احتلالها وبقائها في الشام، فلسطين، عكا، وبيت المقدس، وازدرائها كل ما يمت للإسلام بصلة، والحط من مكانته ومكانة الأديان الأخرى، والرفع من مكانة المسيحية الصليبية؛ فانبرى ابن علوان للرد على

ذلك عبر (واحدية الدين) التي تعني أن الإسلام أصل كل دين يأتي به نبي مرسل. فالإسلام منهج ودعوة تقوم عليها كافة الأديان: إسلام، مسيحية، ويهودية. وهو الحقيقة التي حملها كل الأنبياء، وأكدتها الكتب السماوية من قرآن، أناجيل، وتوراة. فجميعها تدعو لتوحيد الحقيقة الإلهية، وواحدية مصدر النبوة؛ فدعا ابن علوان إلى تمثل هذا المبدأ في سلوك كلِ موحد، كما دعا إلى وحدة الدين، وعنوانه الإسلام بأجزائه الثلاثة. فحقيقة الإسلام دين جامع للأديان السماوية، وجميعها يدعو إلى حقيقة التوحيد التي جاء بها الإسلام بلغته العربية.

عربيـــــة الألفـــــاظ مهمـــــا أنشـــــدت لان الحديـــــد وســـــبح الجلمـــــود
عقـــــدت قـــــوى أوتارهـــــا بقلوبنـــــا فمشـــــت مـــــع النغمـــــات كيـــــف تريـــــد
تلميـــذها فـــي الحســـن يوســـف والتقـــى أم المســـيح وفـــي الغنـــاء داؤود

(ابن علوان، 2006، 167)

وإن الدعوة للوحدة بين الأديان من شأنها العمل على سحب البساط من تحت أقدام الغزاة، وتكشف زيف دعوتهم وأهدافهم الدنيوية، وتخمد نار الحرب المستعرة بين الأديان، وتحد من ثقافة الكراهية بين الناس على أساس ديني. ومن جانب آخر يدافع ابن علوان عن الحقيقة المحمدية، والذي مثل ظهور الأنبياء، والأولياء نوابًا عنه. (ابن علوان، 2000، 136)، ورأى فيها العقل الأول، أي عقلاً كلياً جامعاً؛ لأنه عقل مخلوق من النَفَسِ الإلهي، فمن نور هذا العقل تأخذ الأنبياء والأولياء، لما منحه الله من تحقق بأسرار علمه الإلهي. وللعقل المحمدي وجهان: وجه ممد والثاني مستمد. وعبر هذا العقل يتجلى الله للعقول من حقائقه الواصلة في العقل الأول.

إن الدور الذي تؤديه التربية العقلية يجعل العقل الأول عقل الحقيقة المحمدية الأصل الجامع للمعرفة، وعلى العقول الجزئية المتصلة إجلاله وتعظيمه؛ لما له من خصائص متفردة منحها الله له، وأن تأخذ منه بقدر حالها وأحوالها، فتعظيمه يعني في الوقت نفسه تعظيم بقية الأنبياء. ويمكن القول إن العقل أصل كل معرفة وعلى كل فرد اهتمامه بعقله، واحترامه لعقول الآخرين.

3 – حاكمية العقل: يقصد بحاكمية العقل أن له سلطاناً معتبراً وحاكمية دلت عليها الأصول الشرعية في كثيرٍ من نصوص الوحي، والتي في جوهرها تدعو إلى التفكر والتعقل والتدبر والتأمل، فاستحق العقل هذه الحاكمية بهذا الاعتبار. (لحساسنة، 2007: 83)، وعن طريق العقل أمكن للإنسان الوصول إلى معرفة الله بعد أن أمكنه معرفة نفسه، ومعرفة الموجودات بواسطة النظر العقلي وإعمال تفكيره في كل الموجودات والظواهر والأشياء حوله، وقد جاء قوله: "الحق على الحقيقة واضح الطريقة، وذلك إذا جالت العقول في آفاق الاستبصار بأجنحة الأفكار، فحصلت على معارف ذواتها، وإدراك غرائب صفاتها". (ابن علوان، 2000، 75).

وحاكمية العقل لديه تعني منح العقل سلطة الأمر والنهي على النفس والجسد؛ نظراً للفرق الكبير بين مكونات الكينونة الإنسانية، ومن خلال المقارنة بين أجزاء الكينونة أو الطبيعة البشرية يمكن إدراك العلة التي دفعت ابن علوان لأن يعطي العقل الحاكمية الكاملة على النفس والجسد.

ويخلص الباحثان إلى استحقاق العقل للحاكمية على أجزاء الطبيعة البشرية الأخرى (النفس والجسد)، والجدول (1) التالي يوضح ذلك.

جدول (1) (مقارنة بين العقل والنفس عند ابن علوان)

الموضوع	العقل	النفس
أصل التكوين	خلق من نَفَسِ الله ونور وجوده، وهو أول المخلوقات.	خلقت من نور العقل، وظلمة الجهل، وخسة الطبع، وهي ثاني المخلوقات.
حقيقته	جوهر واحد مؤتلف غير مختلف.	جواهر متعددة، مؤتلفة ومختلفة تجمع بين المتناقضات.
السمات والخصائص	لا يتبعض ولا يتجزأ ولا ينحرف.	متبعضة ومتجزأة ومنحرفة.
الوظيفة	مختص بالتوحيد، المعرفة، والبرهان.	مختصة بتدبير حاجات الجسد.
المسار	يسير العقل في اتجاه صاعد نحو أنوار المعرفة الإلهية.	تسير في اتجاهين متضادين: الأول صاعد نحو العقل، والثاني هابط نحو الجسد.
الصفات	يتميز بالكمال، ومبرأ من الشك، الطغيان، الجهل، والنسيان، لا يعترض، ولا يميل.	تعيش حالة النقصان، مدثرة بالشك، الطغيان، الجهل، والنسيان، تعترض وتميل.
الرتبة الوجودية	الرتبة الثانية في لوح الوجود بعد الله سبحانه.	الرتبة الثالثة في لوح الوجود بعد العقل.
النسبة	لا يُعرض عن دوام مشاهدة باريه، ممتثل لأوامره، مجتنب نواهيه؛ لذا نسبته من ربه كنسبة الصبح من ضوء الشمس.	معرضة، ومقبلة، ممتثلة، وعاصية للأوامر، مجتنبة، وفاعلة للنواهي؛ لذا نسبتها من ربها كنسبة الليل من النهار والظلام من النور.

الجدول: من إعداد الباحِثَين، بالاعتماد على نصوص تاريخية لابن علوان في مؤلفاته ذات العلاقة (في الفتوح، التوحيد الأعظم، والمهرجان).

وما يمكن استنتاجه من خلال المقارنة السابقة بين أجزاء الكينونة الإنسانية (الطبيعة الإنسانية) هو أن ابن علوان منح العقل كل صفات الكمال والمعرفة والحكمة، وهذه السمات لا تتحقق في النفس المشغولة بالبحث عن الملذات والشهوات؛ ومن هنا استحق العقل الحاكمية. وقد تم استثناء الجسد من المقارنة، لأن العقل عند ابن علوان جوهر مخلوق من ظلمة الجهل، وعنده تنحسر وتضمحل حالة الإشعاع النوراني الإلهي، فهو مادة معتمة ليس بينها وبين ما فوقها نسبة.

ولما كان واقع الحياة السياسية والاجتماعية في عصر ابن علوان، يسوده الانقسام والصراعات والحروب على السلطة، بالإضافة إلى إحساس الفرد العربي المسلم بالتيه واليأس والضياع والاستلاب. فقد رأى في ذلك نتيجة طبيعية لحكم النفس، وغياب العقل عن ذلك الواقع؛ ومن هنا دعا إلى التربية العقلية في الواقع الاجتماعي، وحكم العقل في الواقع السياسي، وإدارة شؤون الأمة كمقدمة ضرورية لإصلاح واقع الإنسان العربي المسلم ككل. الذي تتنازعه أهواء النفس من كل

حدب وصوب يقول: "أمَّر الله – عز وجل – الروح على العقل، وأمَّر العقل على النفس، وأمَّر النفس على الجسم" (ابن علوان، 2006، 236).

ومن خلال منطوق كلامه يمكن للباحِثَيْن استنتاج نظريته السياسية التي يمنح فيها العقل السلطة الكاملة على النفس والجسد. وقوله "أمَّر الله" يعني أن سلطة العقل وحاكميته على النفس والجسد، مصدرها الله تعالى. وفقاً لتراتبية مستقيمة مستنبطة من القرآن الكريم. وينبغي أن تبقى هذه التراتبية في العلاقة بين أجزاء الكينونة الإنسانية (الطبيعة الإنسانية) على هذا الأساس دون إخلال بها؛ لتستقيم الحياة ويستقيم الدين.

وحين أخلَّ الإنسان بسبب من شهوة نفسه وأطماعها بهذه التراتبية وأصل هذه العلاقة ساءت الحياة واتضع (انخفض) أمر الدين. وإن أهم ما تهدف إليه حاكمية العقل هو إصلاح جوانب الحياة المختلفة، وحل المشكلات، وتلبية الحاجات، واستقامة واقع الإنسان. ومن هذه الأهمية لحاكمية العقل يضع ابن علوان الأهمية للتربية العقلية، ويمنحها الأولية على كافة جوانب الحياة الأخرى؛ لأنها الأساس لبقية الجوانب.

وعليه يمكن القول: إن ابن علوان يطالب أن يتولى أمر الناس فيلسوف أو ولي صوفي، اطمأنت نفسه عن منازعة عقله، وشع عقله بأنوار الحكمة. واستكمالاً لنظريته السياسية فإنه يطالب بإلغاء الفردية، والذاتية النفسية، وحل محلها ثنائية الشراكة في القرار السياسي بين القطب، والجناح. ويعرف هذه الشراكة بقوله: "فالجناح هو المستبد بكمال العلم الظاهر والعمل الظاهر. والقطب هو المستبد بكمال العلم الباطن، والعمل الباطن إلى يوم القيامة" (ابن علوان،2000، 266).

وعن أصول هذه الشراكة والتكامل في الأدوار، يقول: "فقطب عالم الصور الدينية، جناح لقطب عالم الأرواح الغيبية، لا غنى له عنه، كما لا غنى للطائر عن جناح يطير به، فيكون قطب عالم الغيب شريكاً لقطب عالم الصور في علمه وعمله؛ لأنه هو الأساس لقاعدته في القطبية الباطنة، غير مخالفٍ له في القول ولا في العمل، ويكون قطب عالم الصور شريكاً لقطب عالم الغيب بوجه التسليم له والتعلم منه؛ لأنه رأس قاعدته في القطبية الظاهرة، غير مخالفٍ له في القول ولا في العمل" (ابن علوان، 2000، 266– 267).

4 – رفض التقليد: يمثل التقليد أزمة العقل، والتربية العقلية، وعائق في التفكير لإنتاج حلولٍ مناسبة وجديدة لحاجات المجتمع ومشكلاته المختلفة في أي عصر وفي أي زمن، وينافح ابن علوان التقليد بكل صوره، ويرى فيه آفة كبيرة تعوق عملية التجديد والتطور، وتقيد العقل من الانطلاق في فضاء التجديد. "فالتقليد تقييد"، والمقلد أعمى. بل إن من أولى واجبات المعلم لديه قطع طرق التقليد عن المتعلم في مرحلة من المراحل، يقول: ويفتح إلى قلبه عين التوحيد ويكشف له عن أسرار التجريد ويقطع عنه قلائد التقليد (ابن علوان، 2000، 307).

أي أنه معطل العقل والحواس ولا يرى الأشياء إلا كما رآها الأخرون؛ فهو ينظر بحواس الآخرين، ويفكر بعقولهم. ولا شك أن واقع العلوم والثقافة السائدة في عصر ابن علوان يقوم على التقليد، ولا يساعد على تنمية التفكير الناقد، وهو ما أدى إلى إصابة العقول بعاهة الجهل، والاجترار، والمحاكاة، جراء ركود وسكون العقل؛ الأمر الذي انعكس على واقع المجتمعات من تخلفٍ، جهل، أمية، واستلاب لذاتية الفرد. والتقليد نتيجة لشيوع الإرهاب الفكري داخل المجتمعات التي يسودها الاستبداد، وتنعدم معها حرية التفكير، والنقد والاكتشاف. ويحذر ابن علوان من خطورة التقليد على ثقافة النشء والنظم التعليمية، والأخذ بالعلوم والمعارف دون فحص أو نقد أو يقين عقلي.

ألقوا إليك على صغرٍ مقالتهم وأرضعوك رضاعاً غير مأموني

بئس الرضيع وبئس المرضعين له سماً رضعت وبعد السم غسلين (ابن علوان، 2006، 549).

وفي نقده للتقليد لدى اليهود والنصارى الذين رأوا في أقوال القساوسة والرهبان نصوصاً وقفية ذات قداسة كقداسة الكتب السماوية، فجعلوا الشروح للكتب السماوية بمثابة خطاب إلهي مقدس. وبالمقابل في الثقافة الإسلامية أراد أن يوصل رسالة إلى من يقدس آراء المفسرين الذين جعلوا من تلك الآراء والشروح نصوصاً جليلة لا تقبل النقد أو الخروج عنها؛ فيغيب التفكير العقلي الجديد للنصوص القرآنية، الذي يجعل معجزة القرآن متجددة، ومعاينة لكل زمانٍ ومكان؛ حيث يقول:

لا تخلعن عن القرآن بهجته مقلدا للنصارى والرهابين

وليس للتقليد – كعملية تجمد التفكير – أضرار على العلم والمعرفة فحسب، بل حتى على الإيمان ودرجته، فالإيمان القائم على المعرفة الاضطرارية الناشئ بفعل التقليد إيمان ليس راسخاً (سرحان،2012، 22). لهذا الغرض ولزيادة درجة الإيمان بالله والمعرفة به والثقة به يطالب ابن علوان المؤمن بتفعيل عقله في آفاق الاستبصار للوصول إلى الحقيقة الإلهية، أي أن يعيش المؤمن تجربة العقل والتفكير للوصول عبر البراهين العقلية إلى أنوار حقيقة الوجود الإلهي السارية في الموجودات، ويكتشف الأسرار العلمية والمعرفية التي تقوم عليها حركة ووجود الموجودات، هذا ما يزيد الإنسان ثقة بالله ويوطد معرفته به.

وإن التفكير في المخلوقات يوصل إلى معرفة الخالق القائم على براهين عقلية، لا تقليداً لما رواه فلان عن فلان". (ابن علوان، 2000: 75)، فالتسليم بصدق المعرفة التي تأتي عبر الرواية والسند دون تمحيص أمر يقيد العقل، ويضر بحياة الإنسان المؤمن، ويدعه يعيش في حالة من العمى والجهل والخرافة، ويمنع العقل من إحراز قصب السبق في ميدان العلم والمعرفة الصحيحين.

وعلى ذلك يطالب ابن علوان بإعمال العقل في كل العلوم والمعارف حتى تستبين صحتها، فالشك فيها أمر قائم حتى يقر البحث العقلي بصدقها ويقينها. فالتقليد نتائجه وخيمة على مستقبل

الأمة يعطل العقول ويمنعها من النقد، التحليل، والبحث والاكتشاف. وهذا أمر في غاية الخطورة؛ لأنه يحرم الأمة من أقوى وأعظم سلاح في مواجهة مشكلات حياتها، فيحل فيها التخلف والجهل والمرض ويسلبها القدرة على استثمار مقدراتها في كل المجالات، وربما هكذا حال دفع الآخرين وأغراهم باحتلال أرضها ونهب ثرواتها.

ومن هنا فإن الدور الذي تلعبه التربية العقلية دور حاسم وجوهري، تساهم في تدريب عقول المتعلمين على البحث والنظر والنقد والتحليل، والارتباط بكل ما هو جديد في كل الجوانب، بعيداً عن التقليد والاستلاب. وفي المقابل فإن طريق النهضة لا يكون إلا بالأخذ بأسبابها وفي مقدمة ذلك الإعلاء من شأن العقل والتربية العقلية والتي من أهم ملامحها حرية البحث والنقد والتجريب.

نتائج البحث وتوصياته ومقترحاته:

يعد ابن علوان من الفلاسفة الأعلام والتربويين القلائل الذين نبهوا إلى أهمية التربية العقلية في حياة الفرد والمجتمع، وقدم في سبيل ذلك نظريات مهمة تجعله في مقدمة الفلاسفة العرب والمسلمين الذين سلطوا الضوء على العقل والتربية العقلية في ظل ظروف سياسية واجتماعية بالغة التعقيد تسودها أجواء من الإرهاب الفكري على العقل والمعرفة العقلية، ومع ذلك قدم رؤيته ونظرياته في العقل، والتربية العقلية، والنفس، والوجود وغيرها من النظريات، نجدها مبثوثة في أعماله ومؤلفاته. وسر ذلك رغبته في الإعلاء من مكانة عقل الإنسان العربي والمسلم، فطالب بالعقل حكماً وحاكماً، بدلاً من حكم النفس، ورأى في التربية العقلية الكثير من الحلول لمشكلات الإنسان العربي آنذاك والتي لا تزال قائمة إلى اليوم.

وإذا كان هذا البحث قد وقف على قضايا التربية العقلية لدى ابن علوان بشكلٍ مفصل، والتي تمثلت في (العقل نور الوجود الإلهي، العقل الأول أصل المعرفة، حاكمية العقل، ورفض التقليد)؛ فإن الباحِثَّين يأملان من كل ذلك إفادة النظام التعليمي، ومناهجه، وأساليبه، وطرقه في الوقت الراهن من تلك النظريات، والحاجة الملحة إليها ليأخذ بها المعلمون والمتعلمون. وكذا ترميم جسور التواصل المعرفي بين حاضرنا وماضينا المشرق، ومن ثم إمكانية البناء على نسق تلك النظريات والمقولات، نظريات أكثر معاصرة ومناسبة لحاجات واقعنا الراهن؛ كون مجتمعاتنا بحاجة إلى نظم تعليمية تعمل على تعزيز التربية العقلية في كافة المناهج، الأنشطة التعليمية، وطرق تدريس ترتقي بالتربية العقلية نحو المرامي، الأهداف، والغايات التعليمية، لاسيما في هذا العصر الذي أصبح عصر العقلانية والعلم والبحث العلمي. **ويخلص** البحث– بصورة مركزة – **إلى النتائج التالية:**

- إن المعرفة الإلهية بدون العقل والتربية العقلية تظل معرفة ناقصة، ولا تكتمل شروطها إلا بإعمال العقل والتفكير في الموجودات وعلل الأشياء.

- إن واقع الأمة في حاضرها وماضيها أليم، ومتخلف؛ وهي نتيجة طبيعية لحاكمية النفس وغياب حاكمية العقل.
- أدى غياب التربية العقلية (النقد، والتحليل لموروث ثقافتنا الإسلامية) إلى ظهور الغلو والتطرف.
- إن غياب العقل، والتربية العقلية عن مناهجنا الدراسية من شأنه إبقاء الجيل في حالة من التخلف، الجهل، والتقليد.
- إن ضعف النظام التعليمي في مناهجنا على مستوى الأطر التعليمية المختلفة (مناهج، طرق تريس، أنشطة، إعداد المعلم) قد انعكس في نقص المعرفة العقلية، غياب الحاكمية للعقل، وغياب التفكير العقلي في سلوك الفرد والمجتمع.

توصيات البحث:

يوصي الباحثان وزارة التربية والتعليم، المؤسسات التعليمية المختلفة، والمعاهد والجامعات باستيعاب مناهج التدريس فيها للنتاج الفكري والعقلي والتربوي لرجال الإصلاح الديني، السياسي، والاجتماعي على وجه العموم، والفكر التربوي العقلي لأحمد ابن علوان على وجه الخصوص؛ لبناء شخصية ذات تفكير معتدل، يحترم العقل، والحريات الخاصة والعامة.

مقترحات البحث:

يقترح الباحثان ما يلي:

- إجراء دراسة علمية حول التربية العقلية لدى بعض مفكري النهضة العربية الإسلامية.
- إجراء دراسة علمية عن التربية العقلية في مناهجنا الدراسية في التعليم العام.
- إجراء دراسة علمية حول أبعاد التربية النفسية عند أحمد بن علوان.

المراجع:

ابن علوان، أحمد (2000)، **التوحيد الأعظم**، تحقيق: عبد العزيز سلطان، ط2، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

_____ (2004)، **الفتوح العلواني**، ط1، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء.

_____ (2004)، **المهرجان والبحر المشكل الغريب لكل سر عجيب لكل عارف لبيب**، تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب، وزارة الثقافة والسياحة، دار الكتب، صنعاء.

_____ (1421هـ -2006م)، **الفتوح الفائق**، الطبعة الرابعة، دار الكتب، تحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء.

ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل (1986)، **البداية والنهاية**، دار الفكر: بيروت.

أحمد، حافظ عزالدين غالب (2020). فلسفة النظر وتضميناتها التربوية لدى أحمد بن علوان، **رسالة ماجستير غير منشورة**، كلية التربية- فرع جامعة تعز بالتربة، الجمهورية اليمنية.

الترب، سناء (2014)، **المعافريون في الأندلس**، ط1، المؤسسة اليمنية للثقافة والفنون، تعز، الجمهورية اليمنية.

الريمي، عبده محمد حسن(2012)، **الفكر التربوي لدى الحبيشي**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة تعز، الجمهورية اليمنية.

الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف (1993)، **السلوك في طبقات الأمراء والملوك**، ط1، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

الخزرجي، علي بن حسن (1983)، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

الشرباصي، أحمد (1979)، **الغزالي**، دار الجيل، بيروت.

الشميري، محمد فائد أحمد (2013)، **التربية العقلية عند الماوردي وابن الجوزي، دراسة مقارنة**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة تعز، الجمهورية اليمنية.

الشيباني، عمر محمد التومي (1973)، **الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب**، دار الثقافة، بيروت.

الفلاحي، عبدالله محمد علي (1996)، **المعرفة والوجود في فلسفة أحمد بن علوان الصوفية دراسة تحليلية مقارنة**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق.

القدسي، عبدالكريم (1995)، **التصوف عند أحمد بن علوان، قضاياه وإشكالياته**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة.

القيري، حمود (1988)، **تحقيق دراسة ديوان الفتوح لأحمد علوان اليمني**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، مصر.

الناصر، محمد حامد ودرويش، حولة عبد القادر (1411هـ)، **تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة**، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، السعودية.

أدنيس، علي محمد سعيد (1997)، **الصوفية والسريالية**، ط3، دار الساقي، بيروت.

حافظ، عز الدين غالب (2020)، **فلسفة النظر وتضميناتها التربوي لدى أحمد بن علوان**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، فرع جامعة تعز بالتربة، الجمهورية اليمنية.

حلمي، سلطان عبد الرؤوف، **التربية العقلية وتطبيقاتها التربوية**، متاح على، تاريخ الدخول: 22- 4-2021 home, site, https :11 sites google. com

زائد، أحمد (2005)، التسامح، **مجلة فكرية إسلامية**، مسقط، عُمان.

سرحان، هيثم (2012)، **استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة**، نادي تراث الإمارات، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

سعيد، عبدالكريم قاسم (1997)، **التصوف عند ابن علوان، قضاياه وإشكالياته**، ط1، مكتبة مراد، صنعاء.

سلطان، جميل (2012)، **شعر التصوف عند أحمد بن علوان**، رسالة موضوعية وفنية، جامعة آل البيت، الأردن.

سلطان، محمد صديق (2012)، **فلسفة التربية في التصوف الاسلامين**، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر.

سليم، مريم داؤود (2002)، **علم نفس النمو**، دار النهضة العربية، بيروت.

عبده، محمد (2005)، **رسالة التوحيد**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

لحساسنة، حسن (2007)، **الحاكمية في الفكر الإسلامي**، كتاب الأمة، العدد 118، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

مروة، حسين (1985)، **النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية**، ط5، دار الفارابي، بيروت.

ناصر، إبراهيم (2001)، **فلسفة التربية**، الجامعة الأردنية، عمَّان، الأردن.